مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: العربى

التاريخ: ٢٠٠٥/٧/٢٤

هل حكمت مصر فى السبعينيات؟

اعترافات جيهان السادات

» سألت نفسى بعد أن أصبح السادات رئيسا: هل أجلس فى البيت كزوجة أم يكون لى دور كزوجة رئيس الجمهورية؟ » كان سهلا أن أنتبه لصحتى وأحضر الحفلات وأسعد بحياتى.. لكنى اخترت الطريق الصعب وقررت النزول إلى الشعب» لم أقرأ التقارير التى كانت تصله عن حالة الأمن.. لكنى كنت أقول له: لابد أن تقرأ هذه الأشياء وتؤشر عليها » لم ينشر سامى شرف صورتى إلى جوار السادات.. فقلت: هذا القرار يأخذه أنور السادات أو يرجعوا لى فيه أنا صاحبة الشأن » سمعت الطلبة يهتفون: حكم ديان ولا حكم جيهان.. فلم أغضب لأنهم صغار ولا يدركون الدور الذى تقوم به زوجة الرئيس.

» تدخلت فى قانون الأحوال الشخصية ودفعت فى اتجاه الموافقة عليه.. لكنه لم يخالف الشريعة . فأنا مسلمة.. وأنور رئيس متدين» لم أتدخل فى عمل السادات.. فقد كان رجلاً فلاحاً وكما يقول المثل الشعبى «ملوهدومه» » كان السادات يضيق بتطلعاتى ويقول لى: الصبر جميل يا جيهان.. ربنا خلق الدنيا فى ستة أيام.

تصر جيهان السادات على أنها لم تكن سوى الصدر الحنون الذى كان يرتاح إليه الرئيس السادات من مشقات العمل الرئاسى.. تنفى فى كل مرة تتحدث - وهى بالمناسبة مرات كثيرة - أنها لعبت أى دور ولو هامشياً فى الحياة السياسية المصرية عندما كانت تسير يسبقها لقب «سيدة مصر الأولى».. ولا تنسى السيدة جيهان أنها كانت زوجة.. مجرد زوجة لرئيس فلاح كان يعرف العيب.. ويعلى من قيمة أخلاق القرية.

ولأننا تعودنا فى مصر أن الكلام شئ والفعل شئ مختلف تماما - فإن ما قالته جيهان كلام مثالى لكن ما فعلته لم يكن كذلك.. سأبتعد بكم عن شهادات خصوم السادات أو من تم وصفهم بذلك، حتى لا يكون المشهد الذى نحاول تلمس أطرافه مجروحا.. معنا كلام جيهان.. ما كتبته وما قالته.. فبين السطور الكثيرة تسربت مواقف وعبارات تؤكد أن السيدة جيهان لم تكن تقف خلف الرئيس السادات.. لكنها كانت تقف إلى جواره كتفا بكتف.. ورأيا برأى.. وقراراً بقرار.. ويمكن أن نفهم إنكارها لكل ذلك على هامش تكوين الزوجة المصرية التى تدير كل شئون بيتها لكنها أمام الناس تحرص على أن يظهر زوجها على أنه رجل البيت الذى له الكلمة الأولى والأخيرة وهو الذى يأمر وينهى.

ملامح جيهان الداخلية تشى بأنها بطبيعتها شخصية قوية.. لا تطيق أن تعيش فى الظل ولا تقبل أن تسير سفينة الحياة من أمامها دون أن يكون لها دور فى قيادتها وتوجيهها.. ويبدو أن الرئيس عبدالناصر التقط هذه الملامح مبكرا عندما قال فى جلسة جمعته ببعض الأصدقاء وكانت جيهان موجودة فيها قال: أصل جيهان السادات والدتها انجليزية لذلك هى من النوع الذى لديه جراة فى الكلام.. لم تنف جيهان ذلك بل أكدت عليه عندما قالت: أمى عودتنا أن نبقى دائما صرحاء وأن نتكلم بصراحة دون خوف.

بهذا المنهج أترك لكم السيدة جيهان تتحدث.. لا تهتموا كثيرا بالسطور.. لكن سيروا بأعينكم فيما بين السطور.. ثم نتقابل بعد قليل.. فالآن جيهان وحدها تتحدث:

ماذا تفعل زوجة الرئيس؟

دورى كان مختلفا تمام الاختلاف عن زوجة الرئيس عبدالناصر أو من قبلها، لقد سألت نفسى نفس السؤال وذلك بعد أن هدات الدنيا وبدأ السادات يحكم وحتى قبل ١٥ مايو قلت: ما هو دورى؟

هل أجلس كزوجة لرئيس الجمهورية أحضر الحفلات فقط، أذهب إلى المطار أقابل زوجات الرؤساء مع زوجى، ورئيس الدولة وزوجته ونعود إلى مجرد الرسميات وأذهب مثلا أقص شريطا من آن إلى آخر ثم أعود.. هل هذا هو دورك يا جيهان؟ أنا كنت أكلم نفسى فوجدت جيهان التى بداخلى تقول لى لا، إما أن تقومى بعمل وبداية لكى تبقى من بعدك حتى يكون لزوجة رئيس الجمهورية دور تلعبه لصالح البلد.. لكن أن تجلسى فى البيت فهذا مرفوض.

كان من السهل علىّ أن أجلس فى بيتى وأن انتبه لصحتى وأن أحضر الحفلات وأحضر أشياء أخرى خفيفة جميلة وأكون سعيدة بحياتى.. لكنى اخترت الطريق الصعب الذى هو أن أنزل إلى الشعب وأنزل إلى القاعدة التى تحت بدليل أن أول شئ قمت به فى العمل الاجتماعى هو جمعية «تلا» للتنمية الاجتماعية فى المنوفية فى الريف.

لقد قلت لنفسى، أنا أريد أن ألعب دوراً.. يعنى أنا تكلمت مع نفسى، أنا كنت أريد زوجة رئيس الجمهورية هذه لا تجلس سيدة مترفعة عن كل شىء، لا تلعب دورا اجتماعيا، وخصوصا أنى لعبت هذا الدور منذ عام سبعة وستين، فما الذى حدث لى الآن بعد أن أصبحت زوجة لرئيس الجمهورية، أن أبقى مجرد صورة وأن أجلس فى البيت وأكون سيدة وأعمل يعنى، لا عليك إلا أن تكملى دورك الذى أنت فيه.. بل على العكس لابد أن تتوسعى فى العمل الاجتماعى.

2 تقارير فى غرفة نوم الرئيس

لم أكن أقترب من التقارير التى كانت تأتى إلى الرئيس.. ولم أتدخل فى هذا مطلقا، هذه التقارير كانت تأتى له ملخصة عن الأمن الداخلى والخارجى والسياسة والاقتصاد، وهذه الأشياء ليست من شأنى ولا أحب أن أعرف ماذا بها؟ كل الذى كان يرفض السادات قراءته تفريغ المكالمات كان يقول: هذا تضييع وقت، لكن من الناحية الاقتصادية كنت أقول له: يجب أن تعرفها.. ويجب أن ترى ماذا يحدث فى السياسة الخارجية وذلك من أجل أن يبقى على دوره الذى يلعبه لأنه كان رئيس دولة ولابد أن يقرأ هذه الأشياء ويؤشر عليها للمسئول.

3 أزمة صور زوجة الرئيس

قيل لى إن بيتك مراقب وهذا الأمر أنا اكتشفته شخصيا حينما تولى السادات الرئاسة - وأقام حفلا فى قصر عابدين، وبعد ذلك فى اليوم التالى حينما نشرت الصور لأنور السادات وبجانبه يدى كانت مقطوعة فى الصورة، لأنهم لم ينشروا صورى، فأنا تكلمت مع فوزى عبدالحافظ وهو سكرتير الرئيس الخاص وقلت له: يا فوزى كيف لا تنشر صورى؟ ومن الذى منع نشرها؟ من المفترض أن يستأذن فى عدم نشرها أو لا لأنى كنت حاضرة، لو لم أكن حاضرة لم يكن هناك مشكلة.. لكنى كنت حاضرة.

لم تكن صور زوجة عبدالناصر تنشر لأنها لم تكن تحضر الحفلات من الأساس، لكن أنا حضرت ومع زوجات كل السفراء سواء كانوا عربا، أم أجانب، فكيف فى اليوم التالى تنشر صور أنور السادات وأنا أظل كأنى غير موجودة، إذن لماذا ذهبت؟ لأن من المفروض إما ألا أذهب أو إذا ذهبت فمن المفترض أن تنشر صورى معه.. ومن الذى يأخذ هذا القرار ليس سامى شرف - كان لايزال مديرا لمكتب الرئيس - أو غيره هذا القرار يأخذه أنور السادات أو يرجعوا لى فيه أنا صاحبة الشأن.

4 حوار عاصف مع سامى شرف

كلمنى فوزى عبدالحافظ وقال لى: سامى شرف يرجو أن يلتقى مع سيادتك لمدة عشر دقائق، فقلت له: إذن فهاتفى مراقب يا صاغ فوزى، فقال لى: كيف؟ فقلت له: هل اخبرته أننى كلمتك وماذا قلت لك؟ قال: لا لم أخبره، قلت له: إذن بديهى جدا أن يكون قد سمع المكالمة وطلب أن يقابلنى حتى يوضح لى الموقف، فسكت الصاغ فوزى ولم يعلق، وجاء سامى شرف ودخل فقابلته فى المكتب، وقلت له لماذا تفعل ذلك دون الرجوع لنا.. نحن أصحاب الشأن.. هل رجعت للرئيس؟ هل رجعت إلىّ؟ هل أعطاك الرئيس أمراً وقال لك لا تنشر صور جيهان السادات؟ ما هو شكلى أمام الناس؟ ماذا يقولون

عنى؟ إذن لماذا حضرت مع زوجى؟ يعنى إذا كانت حرم الرئيس لا تشارك فى الأول فهذا شىء آخر.. لكن أنا أشارك، فقال لى: لأن لنا جنودا على الجبهة فلا نريدهم يعنى.. قلت له: ماذا.. أنا أشرفك وأشرف البلد لأنى زوجة رئيس الجمهورية وليس شيئا يخبأ ويستعر منه، فقال لى: إذن سوف ننشر صورك فى المجلات، فقلت له: فإذا لم تنشر صورى فى الصحف فلماذا تنشر فى المجلات؟ أرجوك لو سمحت أى شئ يتعلق بى إما أن ترجع فيه إلى الرئيس أو ترجع لى أنا، فقال لى: حاضر ومشى.

5 اتصالات خاصة مع الوزراء

لم يحدث بينى وبين الوزراء اتصال مباشر مع الوزراء إلا فى حدود اجتماع فى شىء يخص الطلبة، فكان وزير التعليم يأتى ولم أكن أنا التى أتصل به بصراحة، كانت هناك سكرتارية وكان هناك مكتب يقول له: هناك اجتماع، وكان هو عضو فى هذا الاجتماع، ولم يحضر معنا رئيس مجلس الشعب أو رئيس الوزراء، فقط الوزير كمسئول ووزير الشئون الاجتماعية فى أغلب الأوقات لأن الجمعيات كانت تابعة لها.. وكان وزير التعليم يحضر لأنى أسست جمعية للطلبة تساعدهم على شراء الكتب وتسهل لهم أشياء كثيرة.

6 حكم ديان ولا حكم جيهان

كانت صورتى جديدة بلاشك على الشعب المصرى، أعنى صورة جديدة أن يجدوا زوجة رئيس الجمهورية تذهب هنا وتزور هناك وتذهب للمرأة حتى فى الريف وتذهب إلى الطفل وتذهب إلى العسكرى فى الجبهة، كل هذا رآه الشعب المصرى لأول مرة فعلا، وأنا حينما كنت أزور الجبهة كنت أذهب لهم ومعى وزيرة الشئون الاجتماعية الدكتورة عائشة راتب، وكنت حينما

أذهب أرتدى ملابس محتشمة جدا بنطلون مغطى وجاكيت مغطى ومغلق لأنى كنت ذاهبة وسط جنود، كنت أذهب لهم كأم ترفع من الروح المعنوية لأبنائها المقيمين فى الصحراء منذ شهور وسنوات طويلة ولا يسأل عنهم أحد.. وكانت زياراتى وقعها عليهم جميل جدا.

وعندما كنت أسمع خناقات الطلبة وهم يقولون «حكم ديان ولا حكم جيهان» كنت أدرك أنهم طلبة عمرهم سبعة عشر عاما ولازالوا غير مدركين للدور الذى كنت ألعبه ولم يروا قبل ذلك هذا النشاط الذى تقوم به حرم رئيس الجمهورية.

7 خلاف السيدة الأولى والمطربة الأولى

لم يقع أى خلاف بينى وبين أم كثوم.. لقد كانت أم كلثوم تجمع فلوس من أجل المجهود الحربى، كانت تغنى وتذهب إلى بلاد كبيرة وجمعت للمجهود الحربى.. وكان مشروعها وهو تعليم الفتيات الخياطة مسجل فى الشئون الاجتماعية عام ١٩٧٣.. أما مشروعى وهو الوفاء والأمل فقد كان مسجلا فى الشئون الاجتماعية منذ عام ١٩٧٢.. فمن الذى أخذ المشروع من الثانى؟ أنا لم آخذ الفكرة من أحد.. ثم يا ليت هناك ستين ألف سيدة مثل أم كلثوم وغير أم كلثوم يعملوا مشروعات خيرية فهذا يسعدنى ويجعلنى فخورة بالسيدات اللاتى يساهمن فى رفع مستوى المريض أو المعوق أو الفقير.

صناعة قانون الأحوال الشخصية

يقولون أنى أتدخل فى أشياء.. أنا لم أتدخل فى أشياء إلا فعلا قانون الأحوال الشخصية، أنا تدخلت فيه ولا أنكر هذا.. يعنى اعترف.. فقانون الأحوال الشخصية كنت أدفعه، لكن كانت هناك لجنة من مفتى الديار المصرية وشيخ الأزهر وعدد من علماء الدين وعلماء القانون ووزيرة الشئون الاجتماعية، يعنى كان هناك صفوة من الناس

بحيث أنهم لا يمكن أن يخرجوا عن الشريعة الإسلامية ولا عن الدين الإسلامى أبدا.. وأنا مسلمة محبة لدينى وأحترمه.. ولم يكن السادات ليقبل أى خروج على الدين الإسلامى فهو رجل متدين..

كل الذى طالبت به أن الزوج حينما يأتى ليتزوج زوجة ثانية لابد أن يخطر زوجته الأولى إذا وافقت وافقت وإذا رفضت فهذا حقها وهذا فى الإسلام وليس خارجا عليه، وبقيت أشجع وأدفع فى القانون حتى صوت عليه فى مجلس الشعب فى ٣ يوليو ١٩٧٩.

نساء جيهان فى مجلس الشعب

نحن نصف المجتمع.. فلماذا يكون عشر نائبات فقط فى مجلس الشعب.. كانت نظريتى أن يكون هناك كم من السيدات يشاركن الرجال فى نفس الوقت، نحن نصف المجتمع فلماذا لا نأخذ الفرصة كاملة.. نعطى المرأة فرصة كى تشارك فى حل مشاكلها وابداء رأيها، المجلس كان به دكاترة ومهندسات وسيدات مثقفات استطعن أن يلعبن دورا وأيضا فى المجالس المحلية، كانت هناك السيدة العاملة والممرضة والفلاحة.. وأنا كرئيس للمجلس الشعبى كنت سعيدة حينما كانت واحدة من السيدات ترفع يدها وتريد أن تتحدث عن مشكلة.. وكانت هناك مشاكل كثيرة تحلها المرأة ليس لأنهن كن يصفقن فقط ولكن لأنه كان لهن دور فعال بالفعل.

10 تأشيرات مباشرة للوزراء

لا توجد تأشيرة واحدة قمت بها ووجهتها لأى وزير.. لقد كان السادات رجلا فلاحا ورجلا يملأ بيته ومكانه وكنت أعمل حسابه وأحترمه.. ولم أكن أتدخل فى عمله.. ولو كان هناك شىء لم يكن يستطيع فوزى عبدالحافظ سكرتير الرئيس أن يقوم به كنت أساعده.. كأن يقول لى: لدى حاجة مهمة جدا شريط أحضره رجل ولابد أن يراه الرئيس فأنا كنت أساعده فى هذا وأقول لأنور لابد أن نسمع ولابد أن نرى هذا.. وكانت هناك أشياء نادرة.. كأن يكون الرئيس نائما مثلا ولا يستطيع أن يتصل به سكرتيره، كان يقول لى: ارجو حينما يستيقظ الرئيس أن أتحدث إليه كانت هناك أشياء من هذا القبيل أعنى بسيطة للزوجة هى التى تقوم بها.. لكن انه كان يقول لى كل شىء وهل كان لدى الوقت: أنا كنت أيضا لدى عمل اجتماعى يستغرق وقتى كله، لم يكن لدى فراغ لكى أطالع تقارير أو استمع إلى كلام.. وزوجى موجود وكما يقول المثل البلدى «ملو هدومه» ويعرف ما الذى يفعله ويقوم به.. ليس فى حاجة إلى جيهان السادات إلى جواره.

11 سيدة مصر الأولى

كلمة قانون جيهان التى أطلقت على قانون الأحوال الشخصية كانت تماما مثل لقب «سيدة مصر الأولى» هل أنا أطلقته على نفسى؟ الم يطلق على.. هناك من يقول ان الرئيس السادات هو الذى خلع على هذا اللقب لكن هذا لم يحدث.. بل أطلقها أحد الصحفيين.. وكان هذا طبيعيا فأنا سيدة مصر الأولى وأنا زوجة رئيس الجمهورية يعنى أنا لم أفرض هذا، انا فعلا وشرعا زوجة رئيس.. وحينما يكتب الصحفيون هذا فى الصحافة ما هى علاقتى.. وماذا أفعل؟

12 اعلان الحرب على رجال عبدالناصر

كانت حكمت ابوزيد وزيرة الشئون الاجتماعية وهى المرأة الوحيدة فى الوزارة قد دعتنى إلى حفل استقبال، وكان عشاء جميلا ولكن ما قالته حين اتصلت بى بعد ايام قليلة اثار القشعريرة فى جسدى، قالت إنها ارسلت إلىّ برقية تسأل فيها إن كان لدى رسالة تتولى هى نقلها إلى تجمع نسائى فى الخرطوم؟ برقية.. إنى لم أتلق برقيتها هذه وسرعان ما اكتشفت أن وزير شئون رئاسة الجمهورية أخفى البرقية ليمنعنى من أن أبدى نشاطى فى المجتمع أو حتى المشاركة فى ارسال رسالة للمرأة السودانية والتقرب منها.

شعرت بغضب شديد وارسلت فى الحال فى طلب الوزير سامى شرف الذى ادعى انه لم يتلق تلك البرقية ولم يجد الوزير البرقية ويرسلها إلى مكتبى إلا بعدما شاهد ما انا عليه من التصميم، لقد صار من الواضح أن على - مثل انور - أن أحارب اعداء فى الحكومة تتزايد سلطتهم يوما بعد يوم.. كان راى الناصريين أن الزوجة الصالحة تبقى فى بيتها ولا يكون لها اى نشاط ولكنى لم أوافق على ذلك لقد تعود الرجال المصريون لأجيال طويلة أن يعاملوا المرأة كجزء من ممتلكاتهم كإنسان الى مهمته أن يطيع ولا يرى ولم يكن هناك اى أساس لهذه المعاملة.

13 زيارة لزوجات الوزراء المعارضين

استطعت بطريقة ما أن اداوم على زيارة زوجات الوزراء المعارضين لنا، متظاهرة طول الوقت انى لا اعرف اى شىء من نوايا أزواجهن للتخلص من انور، وبينما كنا نتبادل الحديث حول اولادنا وكأنما لا يوجد شئ آخر فى اذهاننا كنت انصت لأى دليل أو اى زلة لسان تزيح الستار عن مؤامرات أزواجهن.. كنت اقاسى من صراع فى داخلى وانا اتناول المشروبات المثلجة، واتحدث مع هؤلاء السيدات اللاتى عرفتهن كصديقات طول هذا الوقت، يا ترى هل يعرفن الخطط المخيفة التى يدبرها أزواجهن؟ ووجدت راحة فى احد الأمثال المفضلة الا وهو «من حفر حفرة لأخيه سقط فيها».

14 تطلعات السيدة الأولى

بعد حرب أكتوبر انغمست بالعمل فى مجال الخدمات الاجتماعية، وتدريجيا أصبحت رئيسة لثلاثين منظمة وجمعية خيرية، لقد ترأست الهلال الأحمر المصرى وجمعية بنك الدم المصرى وكنت رئيس شرف للمجلس الأعلى للتنظيم الأسرى، كما أنى ترأست الجمعية المصرية لمرضى السرطان والجمعية المصرية للمحافظة على الآثار والمجمع العلمى لخدمة البيئة وجمعية الخدمات الجامعية والتعليم العالى للطلاب، لقد كنت أقول لزوجى دائما: أنور ليس من المنطقى توفير ثقافة جامعية مجانية إذا كان الطلاب غير قادرين على شراء الكتب أو حتى الملابس التى يحتاجونها لارتدائها بالجامعة.

أحيانا كان ينفد صبر زوجى من تطلعاتى ومن إلحاحى المستمر لكى يؤيد تنظيم الأسرة رسميا وأن يعجل فى التشريعات القانونية المتعلقة بحقوق المرأة، لقد كان يقول لى: جيهان الصبر جميل وكان يقول لى: إن الله خلق الدنيا فى ستة أيام فكيف تتوقعين حتى أن أقوم بتغييرها فى يوم واحد، الصبر جميل.

15 هكذا كانت تتحدث

«أنور أرجوك.. يجب أن تقوم بالاشارة إلى برنامج تنظيم الأسرة فى خطبك.. على الأقل بذكرها».

«أنور.. هل تسمح بأن تقوم بمقابلة سريعة اليوم مع خبراء السرطان الأجانب الموجودين حاليا هنا لحضور المؤتمر! إننى أعدك بأن كل ما تحتاج لقوله هو مرحبا».

«أنور.. إننى أسفة لعدم استطاعتى حضور العشاء الليلة مع الأسرة.. فقد حضر اليوم وفد من السودان وآخر من لبنان للقيام بزيارة جمعية الوفاء والأمل.. ويتعين علىّ أن أكون هناك.

●●●

الآن الحكم لكم.. هذا بعض ما تحدثت به لسيدة جيهان السادات.. وضمه كتابها «سيدة من مصر» وشهادته الطويلة على عصر السادات التى أدلت بها لقناة الجزيرة منذ سنوات استبعدت عشرات الكتب التى تعرضت لها.. ومئات الحوارات التى ظهرت فيها.. وذلك لأنها لم تكن سوى تكرار ممل.. فى كل ما قالته جيهان انكار واصرار على انها كانت مجرد زوجة لرئيس تخشاه وتخاف منه وتعمل له الف حساب.. لكن هذا لم يمنع ان تفلت منها بعض الكلمات التى تشى بأنها كانت قوية ومؤثرة.. ولا يمنعنى هذا أن اقول ان جيهان السادات لعبت دورا مهما للغاية فى حكم مصر.. وإن كان ذلك من وراء ستار.. فقد استخدمت دلالها للتأثير على الرئيس الذى كان يحبها ولا يستطيع أن يرفض لها طلباً.. وبذلك صدرت قرارات كثيرة فى السبعينيات تحمل توقيع السادات.. لكن كانت تقف وراءها روح جيهان.

■ محمد الباز